ما تعارف منها إئتلف

رواية

صهيب الصديق

مقدمة

لطالما كان عالم الأرواح يحيطه الغموض وكانت الروح هي اللغز الكبير الذي لم يستطع العلماء سبر غوره وذلك لأن علمها عند الذي خلقها وحده، لذا لن يسعفنا علمنا الدنيوي حين نتعامل معها فلم نؤت من العلم إلا قليلا. لكن رسولنا الكريم أخبرنا في حديثه الشريف أن مشاعرنا تحكمها الروح وأن كل روح تبحث عن مثيلتها، فليس للقلب أي صلة بهذه المشاعر ولا يعدو سوى أن يكون عضلة تضخ الدم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

(الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها إختلف).

***

ملحوظة:

الشخصيات والأحداث في هذه الرواية من نسج الخيال ولا تمت للواقع بصلة.

المؤلف

وسيم

" لست ذلك الشخص اللذي ستشعر بالراحة إذا ما جلست بقربه أو قبالته في أي مكان عام وسيبدو لك إذا ما راقبتني أني شخص غريب الأطوار أطيل النظر في أعين الناس وأبتدر معهم محادثات عشوائية ومزعجة بدون أي مقدمات أو سابق معرفة وستكون محقا في ذلك، فقد ولدت بموهبة تجعلني أعرف ما يشعر به الآخرون وتضج به أعينهم وأحلل سلوكهم وشخصياتهم بعد أن أتفحص طريقة كلامهم وتحركاتهم، فربما أعرف عنك أكثر مما تعرف عن نفسك بعد لقاءنا الأول و ستجدني أصارحك بما عرفته عنك مباشرة وذلك بعد أن أكون قد أزعجتك بنظراتي المتفحصة وعدم تجاوبي معك إذا ما حاولت ان تبدأ معي أي حوار عادي وهذا ما تسبب لي بالكثير من المشاكل في

صغري مما جعل والداي يفكران في إخراجي من المدرسة وتعليمي في المنزل لكنهما في آخر الأمر عمدا بي إلى مدرسة لل"موهوبين"، كما أن اليأس وصل بهما لأن يحاولا إعطائي دروسا عن كيفية التصرف كشخص عادي وكيف لي أن لا أزعج من حولي فلا أتعرض للإزعاج والتنمر بالمقابل لكن تلك الدروس كانت بلا جدوى.

إنتهى الأمر على أن يكون أدائي في المدرسة جيدا جدا بعد أن إندمجت فيها بسهولة وذلك لأنها كانت مليئة بمن هم مثلي، وأن تكون اختي هي من تصاحبني في كل مرة أريد فيها الخروج إذ يتوجب علي أن أنتظر إنتهاء دوامها في المعهد، فكانت تعالج ما تفسده تصرفاتي المزعجة بتدخلها معتذرة لمن أزعجه عن غرابة تصرفي وملطفة للجو بشخصيتها المرحة وملقية

باللوم على موهبتي التي أسموها "توحدا" منذ أن كنت صغيرا.

لطالما تمتعت أيضا بذاكرة إنتقائية، فقد كنت أنسى أغلب الأحداث السيئة التي أمر بها لكني لا أنسى أبدا الدروس التي اتعلمها منها أو الأشخاص الذين أذوني، فأنفر من أي شخص تنمر علي أو أسآء إلي من قبل دون أن أتذكر الحادثة بالفعل لذا لم أكن ممن يحقدون أو يضمرون الأذى لأي أحد، وبالمقابل لا أنسى أبدا أي فعل جميل أو أي شخص ساعدني فتجدني أتذكر تلك الأحداث بأدق تفاصيلها.

لذلك لم أنسى أبدا تلك الفتاة ذات الوجه الملائكي والإبتسامة المشرقة كما لم أنسى نظرتها التي كانت لغزا تقت كثيرا لحله، فلطالما كانت نظرات الناس لي

مزيجا من الشفقة والإشمئزاز أو نظرات إستغراب وفضول عادة ما تكون من الأطفال يعقبها لطف زائد أو تجنب لي، وكنت قد تعودت على ذلك منذ صغري. لكن تلك العينان الواسعتان لم تكونا تنظران لي ك"وسيم المتوحد" أو "الشاب المسكين" بل ظلت تلك الفتاة ذات الجمال الهادىء والحياء الخجول تتفحصني بذهول وتنظر بفضول لعيني حتى أشحت بنظري على عكس كل مرة أستغرق فيها في النظر لأي أحد إذ عادة ما يشيح هو بنظره لغرابة الموقف.

إستمعت لحديثها مع اختي وعرفت أنها إنتقلت حديثا للسكن في بيت جارنا العم فريد لتدرس في نفس المعهد التي تدرس فيه اختي فلم يكن يشغل تفكيري شيء سوى أني سأحل لغز تلك النظرة إذ أنه ستكون بيننا الكثير من اللقاءات بحكم الجوار، لكني تفاجأت

بعد يومين بسماعي لها وهي تخبر اختي بخبر رحيلها عائدة لمدينتها لتسافر مع عائلتها لخارج البلاد حيث ستكمل تعليمها وتخبرها أن توصل سلامها لي فتدافعت الدموع من عيني لتزيد لغز تلك النظرة تعقيدا..

وبدى أنها ستظل لغزا لا أمل لي في حله."

***

ليان

" (صغيرتي ليان

ستقعين مرات كثيرة وستجدين نفسك تضعفين وتضيق بك السبل وحتى أنك قد تحسين أن أقرب الناس إليكي يتحولون لغرباء ولا يمكنك إخبارهم بكل شيء، لكن عديني أنك عندها ستجدين في نفسك موطن القوة وستتسلحين بالعزيمة لتعاودي الوقوف في كل مرة لتجدي نفسك أصبحتي أقوى ويصعب إسقاطك من جديد، وكما أن لكل قاعدة شواذ فستجدين نفسك في إحدى هذه المرات تقعين بلا قاع، ولن تصلي الحضيض أبدا بل على العكس ستكونين كمن يحلق للأعلى أكثر منه من السقوط وسيكون هذا وقوعا في الحب يا عزيزتي، ولم يسمى وقوعا إلا لأننا لا نسيطر على ذواتنا فيه كما هو الحال إذا ما اثقلتنا الحياة

بمنغصاتها فنجد أن لا حيلة لنا ونجد المقاومة شبه مستحيلة وكلاهما كالوقوع من طرف جرف لا يسعنا فيه إلا إنتظار الإصطدام بالأرض لكنا نقاوم لنستمر من أجل أنفسنا ومن أجل من نحب، أما سقوط الحب ذاك فلا تحاولي أن تقاوميه وإن بدى لكي مخيفا بل إستخيري وإستعيني بالله وإدعيه أن يرزقك ذلك الزوج الحاني الصالح وتمسكي به ولا تضيعيه من يديك أبدا فما أصعب أن تجدي مثله وخاصة في هذا الزمان، وكما قال رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) إن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها إختلف فثقي في حدسك وإبحثي عن تلك الروح التي تليق بروحك الطاهرة تلك الروح التي ستسندك في هذه الحياة وستسعدين بالخلود معها في الحياة الآخرة).

كانت تلك وصية جدتي قبل وفاتها بأيام قليلة، وكانت هذه الوصية ما أستند عليه بعد تعاليم ديني والعبر من قصص عظماء الأمة التي لطالما كنت شغوفة بها، ذلك الشغف الذي ينبع من إيماني بأن الحل في ما مضى وأن أمتنا كالعنقاء دائما ما تنهض بكل قوتها وتألقها من رماد إحتراقها وذلك ما يجعلني أثق بأننا سننهض من رماد الجهل وإنكار الواقع والضعف والهوان والحيرة أقوى من أي وقت مضى وسنجعل من نعدهم أساطيرنا يطربون فرحا وفخرا بنا يوم نلقاهم بإذن الله."

***

" لم تكن الحياة في بلاد غير مسلمة بالسهلة إذ كنت أجد نفسي في كثير من الأحيان أجتر لنقاشات ومناظرات لا طآئل منها وفي كل مكان حتى في

وسائل النقل العام ومع غرباء يدعون أنهم مفكرين يحاولون أقناعي بعبثية الوجود بكلام فلسفي سطحي يبعث على الضحك أو أشباه مثقفين يحسبون أنهم درسوا العرب والمسلمين فأجدهم يحاولون الإستهزاء من ديانتي ويسخرون من حجابي فلا أتعب نفسي في محاولة أقناعهم أو الرد عليهم فأضع سماعة أذني وأنظر من النافذة وأنا أستمع للصوت الفخيم لماهر المعيقلي قارئي المفضل وهو يروي ظمأ روحي بأيات من كتاب الله الكريم، ولا أتذكر أني عبئت يوما بما يقولون إلا حينما تطاول أحد الطلبة الجامعيين المؤدلجين الذي ينتمي لإحدى الطوائف المتشددة ذات مرة على الإسلام وعلى آل البيت رضي الله عنهم وأخذ يسبهم بأبشع الصفات مما إضطرني لأن أرد عليه ردا مفحما متسلحة بما أعرف من تاريخ ديني المشرف وما أعرفه عن تاريخ جماعته التي ينتمي إليها المخزي والمخجل فبهت وتراجع محرجا لجهله

ولضعف حجته ولمعرفته بأنه لم يكن سوى شخص مغيب وجهت عاطفته نحو مسلمات لم يجد بديلا لها أو معرفة يقيسها عليها وما أكثر من يشبهون ذاك المسكين اليوم.

كنا نسكن في منطقة تشتهر بوجود المسلمين فيها بكثرة كما أنها قريبة من إحدى الجامعات الأمريكية العريقة فإتصفت بالرقي ووجود الكثير من المتعلمين والمثقفين والباحثين الذين لن تنجو من الدخول في نقاش معهم إذا ما دخلت لأي مقهى أو ركبت أي وسيلة نقل عامة وبك ما يشير لأنك تنتمي لأي ديانة أو أي طائفة وذلك ما أدى لتوطيد العلاقات بين الأسر المسلمة وإضطرهم لأن يدرسوا دينهم ليردوا على أي شبهة تلقى على مسامعهم أو مسامع أبنائهم الذين يستنجدون بهم لضحد الشكوك التي يلقيها مدعي التفلسف أولائك ظنا منهم أنهم يحسنون صنعا في حين أن ما كان يفعلونه ما هو إلا العاب نفسية رخيصة لا

تمت لحسن الصنع بصلة ولا تهدف لمعرفة الحق من الباطل بل إلى فرض الرأي دونما إكتراث لوجهة نظر الآخر أو مستواه التعليمي أو سنه، ولكن نتيجة لذلك أصبحت تعقد دروس فقه ونقاشات ومناظرات بناءة كل يوم تقريبا وأصبحت تدرس قصص الأنبياء وسير الصحابة وقصص تاريخ الإسلام الذاخرة بالعبر والدروس والطرائف فكانت رب ضارة نافعة، جعلتنا نفخر بديننا ونزداد عزا وبهاءا به وأصبح صغار الأطفال يردون على أؤلئك المتمنطقين ردودا مسكتة مفحمة تثير سخرية من حولهم وتجعلهم في موقف لا يحسدون عليه حتى أخذو يتراجعون عن تلك الغارات الفكرية خوفا منهم من أن يعتنقوا الإسلام.

لم يستمر بقاؤنا في الولايات المتحدة كثيرا، فقد وجبت عودتنا لبلادنا لبنان لنستقر ونعيش هناك بعد أن

تلقت والدتي إتصالا من خالي فريد يخبرها بتدهور صحة جدتي وينصحها بأن تأتي لتعيش معها آخر أيامها إذ أنها لم ترجع للبلاد منذ آخر زيارة قامت بها قبل أربع سنوات لتطمئن على جدتى وعلى أعمال العائلة التي آلت لها ولخالي بعد وفاة جدي، فرجعنا للبنان حيث تولى والدي إدارة الأعمال مع خالي فريد وظلت أمي ترعى جدتي وتقوم بخدمتها بنفسها بعد أن صرفت الخادمة والطباخ، وقام والداي بتسجيل أخواي الصغيران في مدارس قريبة من بيت جدتي ولكني فضلت أن يسجلاني في معهد للغة الفرنسية قبل التحاقي بالجامعة فأوصانا خالي فريد بمعهد قرب منزله وقررت بعدها أن أذهب لأسكن مع خالي لبعد المسافة بين بيت جدتي والمعهد."

***

وسيم

" لطالما كان الرسم متنفسي، فقد كنت أكثر منه كلما تعرضت لمشاكل أو تنمر علي أحد في صغري فأجد اني عبرت عن ما يدور في بداخلي بخطوط متقاطعة على ورقة بيضاء يمكن لأي كان أن يأخذها ويفهم الرسالة الكائنة ورآءها، ولن أبالغ إن قلت أني أتواصل مع الناس عبر رسوماتي أفضل منه عن طريق الكلام أو التواصل المباشر.

فلطالما عاملني من حولي كأنني أعاني من خطب ما ظنا منهم أنما أعاني منه يقلل من قيمتي كإنسان وذلك ما كان يدفع من هم في مثل عمري من الاطفال ليتنمرون علي، فقد كانوا يقدسون قانون الغابة وكما ان أغلبهم كان يعاني من عقد نفسية نتيجة للعنف المنزلي الذي كان منتشرا في مجتمعنا، فكان تسلسل العنف

يفرض علي أن أكون في القاع وتحتم علي أن أستحمل الأزعاج والتنمر من كل قرنائي حتى حسبت أني سأعيش كل حياتي هكذا. كانت اختي من لاحظت للكم المرعب من التنمر الذي كنت أتعرض له، مالم يلق والداي له بالا في البدء ظنا منهم أنه لعب أطفال فكان تدخلها هو ما أنقذ حياتي وصحتي النفسية بإصرارها على أن نخرج سويا لكل مكان حتى بعد أن كبرت وبدعمها لموهبتي في الرسم، ولا يمكنني أن أتخيل ما كان يمكن أن ينتهي عليه الحال لو أستمر على ذلك المنوال الذي أقل ما يمكن أن أقول عنه انه حيواني، وقد صدق من قال (إن أغلب من يزور الأطباء النفسيين ليسوا المرضى النفسيين، بل ضحاياهم)، وذلك ما جعلني أطمح لأن أتمكن يوما ما من أن أساعد أولئك الذين يمرون بنفس الذي مررت به في صغري وأن أصبح قدوة لكل من هم مثلي. "

***

" دخلت ندى لغرفتي فجأة فوجدتني أرسم وتعجبت من تصرفي إذ سرعان ما القيت ريشتي وخبأت اللوحة بحركة مثيرة للشفقة لا طائل منها في إخفاء ما كانت قد رأته مسبقا، فقد رأت بكل وضوح أني كنت أرسم من لم تفارق ذهني يوما. لكنها لم تتفاجأ أبدا وإبتسمت كأنما تأكدت من شك كان يراودها وأخذت تتصرف كأن لم ترى شيئا ثم همت بالخروج بحركة بطيئة شجعتني على أن أسألها عن أخبار من كنت أرسمها وما إن كانت ستعود يوما لكني لم أتمالك نفسي فخرج صوتي مهتزا حزينا باديا كنداء إستغاثة سارعت في تلبيته بعد أن إمتلأت عيناها بريقا وإلتفتت صارخة بكل حماس " لقد عرفت ذلك!..ولقد شككت في الموضوع منذ أن أطلتما النظر في أعين بعضكما في لقائكما الأول فلم يكن ذلك من عادات صديقتي ليان الخجولة..وكما أنها كانت تسأل عنك بإستمرار وعن رسوماتك حتى أنها سألتني إن كان هناك أحد في

حياتك فلم أفهم تلميحاتها في البداية وظننت أنها نميمة فتيات عادية أو فضول عادي لكني تأكدت بعد كثرة سؤالها عنك من ما كان حياؤها يمنعها من البوح به فطمأنتها وأخبرتها أنك لم تمل لفتاة من قبل وأنك لست ممن يهوى الغراميات وذلك لإلتزامك وكذبت نوعا ما إذ أخبرتها أنك تسأل عنها أيضا لكن ذلك كان لمعرفتي بأنها كانت تحتاج لسماع ذلك، وإنتظرت أن أعرف ما إن كان شكي بخصوصك في محله أم أنك كنت تطيل النظر كعادتك حينما تطيل النظر في أعين الناس دون أن يعني ذلك شيئا ولك أن تتخيل فرحتي حين رأيتك تقوم برسمها في إحدى لوحاتك الثمينة التي قلما ترسم فيها أحدا. أيها العاشق الهائم". ثم إنفجرت ضاحكة وخرجت من الغرفة مسرعة ومفعمة بالحيوية والسعادة دون أن تعطيني فرصة للرد، وقد كنت عاجزا عن الرد على أي حال فقد غمرتني سعادة لا توصف وشعرت أن الله قد إستجاب لدعواتي أخيرا.

كانت اختي من أمسكت بدفة السفينة بعد ذلك وحرصت على تواصلنا ومتابعتنا لأخبار بعضنا البعض كما حرصت على أن نقرأ نفس الكتب التي تناسب ميولنا المشترك وشغفنا بتاريخ الإسلام والفن الحديث لنجد ما نتحدث عنه في المرات الكثيرة التي تجترنا فيها لمكالمات ثلاثية لمعرفتها برأيي بخصوص الخلوة بالأجنبية على الهاتف، وإستمرت في ذلك حتى كسرت حاجز الكلفة بيننا وجعلتنا نتأكد من مناسبتنا لبعضنا البعض، وبعد زمن ليس بالطويل حددت الخطبة. وسأظل ممتنا ما حييت لاختى ندى التي لولاها لما أبصر حبنا النور."

***

" أجل لقد تأكدت في النهاية أن ما رأيته في عينيها عندما إلتقينا أول مرة وعددته لغزا وما جعلني أزرف الدموع لوحدي في غرفتي عندما ظننت أني أسمع صوتها لآخر مرة كان الحب، وكانت اختي هي ملاكه الحارس التي سأظل أحمد الله على موافقتي على الخروج معها في ذلك اليوم. "

***

ليان

" إلتقيت بندى في أول يوم لي في الحي فقد كانت تسكن في البيت الذي يقاصد بيت خالي وعرفت أنها تدرس في نفس المعهد الذي أنوي الدراسة فيه، كانت فتاة جميلة وعفوية جدا ولا يخلو كلامها من اللمحات الذكية والفكاهة الساخرة مما يجعل تجاذب أطراف الحديث معها أمرا في غاية المتعة والسهولة.

قامت بأخذي في جولة حول المدينة وثم ذهبنا في نهاية اليوم لمقهى ليس بالبعيد من حينا وأصرت على أن تكون هي من تدفع الحساب هذه المرة ملمحة إلى أنه ستكون هناك مرات أخرى مما أسعدنى كثيرا وأشعرني بالطمأنينة إذ تأكدت من رغبتها في أن نصبح صديقتان، وبينما كانت تخرج محفظة النقود من

حقيبتها سقطت عدة أوراق على الأرض وحين رفعتها لأناولها لها لفتت نظري رسومات شديدة الجمال تشبه اللوحات التي تعرض في معارض الفن الحديث فبادرت بسؤالها عن ما إن كانت هي من رسمتها فإبتسمت وأجابتني بأن من رسمها هو أخوها وسيم أكثر فنان موهوب في المدينة.

ثم قضينا بعض الوقت نتجاذب أطراف الحديث حتى مالت الشمس للمغيب فأسرعنا بالرجوع بعد يوم طويل عرفت فيه أكثر مما أحتاج لفترة بقائي القصيرة هناك."

***

" لم يمض يومان حتى قابلت ندى مجددا وقد كانت خارجة مع شاب غريب، كان إختلاف مواعيد دراستنا في المعهد قد أحبط خطتنا في أن نقضي وقتنا هناك سويا كما كنا قد إتفقنا فكان سلامنا على بعضنا حميما رغم حداثة معرفتنا ببعضنا ثم إنتبهت لذلك الشاب الذي كان معها، كان ينظر لي بطريقة غريبة فتسآءلت عن ما إذا كان هذا هو وسيم العبقري الذي أخبرتني عنه ندى لكني نسيت تساؤلي ذاك كما نسيت وقوف ندى بقربنا عندما نظرت إلى عينيه، كان بهما الكثير من الألم فوجدت نفسي وكأنما كنت أشاركه ذلك الشعور وسرحت في عيناه ما بدى أنه زمن أطول مما ظننت حتى أشاح بنظره عني وعندها أخذت ندى تسألني عن صحة جدتي وعن الدراسة في المعهد وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث أنا وهي حتى أحسست بأني قد أثقلت عليهما بحديثي فإعتذرت منهما وتركتهما يمضيان وانا

لا يزال يعتصرني الفضول والتوق لأسمع صوت ذلك الشاب الصامت.

لم تفارق صورة وسيم ذهني أبدا وقد لاحظت أن فيه شيئا مختلفا، فأكدت ندى شكوكي وأخبرتني بأنه مصاب بطيف توحد يسمى بمتلازمة أسبيرجر لكن بدرجة منخفضة، وقالت لي أنه عانى من ذلك كثيرا منذ صغره لكنه كان يعبر عن مشاعره بالرسم وأشادت بموهبته كثيرا وأخبرتني أن ما رأيته من رسوماته لا يعد شيئا مما هو قادر عليه فزادني ذلك فضولا وكدت أن أسألها إن كان يمكنه أن يرسمني لكنى شعرت بالإحراج بعد أن كنت قد أكثرت الكلام عنه.

إتصلت والدتي في مساء ذلك اليوم لتخبرني بأن جدتى قد توفاها الله وبأننا سنعود للولايات المتحدة بعد

مراسم العزاء وأن والدي سيلحق بنا بعد أن يساعد خالي فريد في ترتيب أمور العمل، فشرعت بالبكاء حزنا على جدتي لكن بعض تلك الدموع كانت حزنا على فراق ندى ووسيم الذي أصبحت لا أقرأ نصيحة جدتي إلا وأرى طيفه يداعب خيالي ودخلت في حيرة كبيرة وحزن شديد لعلمي بأني لن التقيه مجددا، أو كذلك ظننت."

***

" أتذكر ما حدث في ذلك اليوم الذى تلى عودتنا للولايات المتحدة، فقد عدنا جميعا لروتيننا اليومي ولم يتغير الكثير ولم يكن هناك شخص أسعد بعودتنا من جيراننا القدامى لكنهم أخفوا سعادتهم تلك مراعاة لحزننا واقاموا ليلة ذكر ودعاء مترحمين على روح جدتي رحمها الله. لكن في ذلك اليوم حدث ما صدمنا وجعلنا وكل من في المنطقة نذعر. فقد دوى إنفجار هز المنطقة التى نسكن بها وخلف كثيرا من الموتى والمصابين من من كانوا خارج الحرم الجامعي ومن كانوا في الاحياء المجاورة له فكان أغلب المصابين من النساء والاطفال والطلبة الجامعيين الذين كانو قريبين من المتجر الذي حدث أمامه الإنفجار.

أسرعت عائدة للحي لأطمئن على أسرتي والجيران فسمعت نواح جارتنا سلوى من بعيد فقبض قلبي وزاد قلقي وأسرعت متوقعة الأسوأ. كان الأنفجار قد أودى بحياة ريم إبنة جارتنا سلوى، ريم التي كانت قريبة

قلوب الجميع وكانت تكثر الكلام عن رغبتها في أن تكبر وتصبح طبيبة وتعطينا تذاكر مزيفة تقضي جل وقتها في رسمها وتعدنا أنها ستعالجنا بها مجانا.

بعد أن خف أثر الصدمة وقل النواح على وفاة ريم الذي كان فاجعة هزت الحي كله، أخذت أجمع شتات أفكاري فتذكرت إصطدام ذلك الشاب المريب بي وما أثار ريبتي بشأنه هو عدم إلتفاته لي وإستمراره في طريقه حاملا حقيبة غريبة الشكل بالرغم من أني كنت أناديه لاخبره بأن بطاقته الجامعية قد سقطت منه ثم لم تمض عشر دقائق حتى سمعت صوت الإنفجار قادما من نفس الإتجاه الذي كان هو متوجها إليه.

أخرجت البطاقة من جيبي وأمعنت النظر في صورته فلم أصدق عيني، لقد كان هو نفسه ذاك الشاب المتشدد الذي أخذ يسبني ويسب ديني وكل الصحابة بحنق

وضيق وأدركت حينها ما قد حدث فأخذت البطاقة لوالدي وقصصت عليه ما كان بيني وبين ذلك الشاب وأخبرته بأني لن أتورع في أن أشهد ضده فلن يهنأ لي بال إن لم أقتص لريم آخذ بحقها منه، ذهبنا بعد ذلك لقسم الشرطة ولم يطل الأمر حتى أتوا بذلك الشيطان مكبلا وواقفا بجوار عدد من الشباب ولم أنتظر سؤلهم فأشرت إليه مؤكدة ومقسمة بأنه هو، ولم يطل الامر حتى تأكدوا من إرتباطه بجهة إرهابية تستقطب الشباب في سنينهم الأولي لتغسل أدمغتهم فيصبحوا ممن قال عنهم تعالى:(الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا).”

***

وسيم

" ساعدتني ليان على أن أنفتح وأصبح أفضل نسخة من نفسي ونجحت في ما عجز عنه والداي منذ زمن طويل، فجعلتني أكتشف ذاتي وأكتشف حس فكاهتي وسرعة بديهتي اللذان كثيرا ما كانا يظهران في نقاشاتي ومغالطاتي معها كلما قرأنا كتابا من الكتب الكثيرة التي كنا نهديها لبعضنا، كما وجعلتني أصقل موهبتي وشجعتني كثيرا على أن أصبح فنانا محترفا فأصبحت أتدرب وأرسم عشرات اللوحات كل أسبوع حتى أصبحت من أشهر الفنانين الصاعدين في المدينة وإنتشرت لوحاتي في كثير من الفنادق والمطاعم الراقية وكان ما جعلني أبذل كل هذا المجهود هو الإلهام الذي أجده كلما رأيت بريق وجهها في مرسمي الصغير. أما ما جعلني أزيد من تفاني وأطور من

مهارتي في كل مرة بصورة ملحوظة شهد بها كل النقاد الأجانب عندما رأوا مجموعة لوحاتي التي كنت قد وهبتها لمعهد اللغة الفرنسية التي كانت تدرس به كان رغبتي في أن أزيد فخرها بي بعد أن رأيت غبطها والسعادة البادية في عينيها كلما كانت تعرض لوحاتي لأصدقائها أو للزبائن الذين كانو يأتون لمعرضنا الصغير.

ما يمكنني أن أصفه بأسعد أيامي كانت حين تزامن توقيعي عقدا مع شركة تسويق أعمال فنية عالمية بدأت مسيرتي معها بإعلانها عن أكبر حدث ومعرض فني في المدينة آخذا من لوحاتي حدثه الرئيس مع معرفتي بأني سأصبح والدا. لم تسعني الفرحة آنذاك وشعرت بأني أطير من السعادة وأذكر أني قضيت تلك الليلة

أصلي وأدعو ربي حامدا وشاكرا على ما أنعم به علي وعلى أكبر نعمة وهبني أياها، زوجتي العزيزة ليان.

***

ليان

" توالت الأحداث سريعا بعد عودتنا للولايات المتحدة، وكان تواصلي مع ندى هو ما رسم مستقبلي وأعادني للبنان، فلقد بذلت جهدا كبيرا وحرصت على أن تجمع بيني وبين وسيم بشتى الطرق وكانت تختلق الأعذار لتجمعنا في مكالمات ثلاثية تتعمد أن تفتح فيها مواضيعا حساسة تتعلق بالتاريخ الإسلامي والفن وملقية بأسئلة بدت لي سطحية في بادئ الأمر لكني تأكدت من أنها كانت تتصنع تلك السطحية لتثير حفيظة أحدنا او كلينا معا لنبادر بالإجابة بعفوية وكثيرا ما نجحت في أن تجترنا لمغالطات ومناظرات كانت عادة ما تنتهي بإنسحاب وسيم بإلقاءه دعابة أو بتغييره لوجهة نظره متظاهرا بأنه لم يكن هناك نقاش من الأساس. وقد أثمر مجهودها في النهاية بأن أزالت

الكلفة بيننا وجعلتنا ندرك مدى ملائمتنا لبعضنا البعض، وكانت الملاحظات التي تلقيها عرضا أثناء كلامها بشأن زواجنا المحتم تثير ضحكنا حتى طلب مني وسيم في أحد الأيام أن يتحدث مع والدي، لم تكن طريقة سؤاله المفعمة بالأمل بعد أن أخبرت ندى بأني لا أمانع الزواج منه توحي بشيء سوى رغبته في طلب يدي بصورة رسمية، فكان فرحي ممزوجا بقلقي من أن يرفض والدي بسبب طيف التوحد الذي يعاني منه وسيم، لذا فاتحت أمي بالأمر مباشرة بعد إخباري لندى بموافقتي ووضحت لها أني وندى تأكدنا من طبيب وسيم من أن إحتمال إصابه أبنائنا بالتوحد شبه معدوم إن لم يكن مستحيلا. إنتظرت ما سيخبرني به والدي بعد مكالمته المطولة مع وسيم بفارغ الصبر، وكانت إبتسامة والدتي وهي تسرع الخطى داخلة لغرفتي ما بشرني بقبوله لزواجي من وسيم وتحديدهما لمواعيد الخطبة. ولم يكن ذلك ليحدث لولا تدخل أمي

وقبله إصرار ندى ودهائها الذي مكنها من أن تجمع بيننا بدون ترويجها لغراميات لا تتماشى مع مبادئنا وقناعاتنا."

***

" قررنا أننا سنستقر في لبنان لرغبتنا في أن يعيش أبنائنا في بلد عربي، وأصبحت أدرس في معهد اللغة الفرنسية بعد أن تخرجت منه لقربه من المنزل وأصبح وسيم فنانا ذائع الصيت يقضي جل وقته في رسم اللوحات في مرسمه مع الأطفال من مدرسة "الموهوبين" والإعتناء بإبننا سمير، وكنا ننتظر عطلة نهاية الإسبوع بفارغ الصبر إذ تأتينا ندى في الصباح الباكر ونأخذ معنا سمير لنطعم الحمام في المنتزه القريب من منزلنا، ثم نذهب لنجتمع في منزل خالي وخالتي والدا وسيم حيث عادة ما يصرون على أن أطبخ لهم حساء الفجل الذي كانوا يعدونه الطبق الرئيس ليغيظوا به وسيم الذي لم يكن يستسيغه، فكان

يرد غيظهم بالتهام كميات كبيرة منه قائلا أن كل ما أطبخه يتفوق على أشهى الأطباق في أشهر المطاعم العالمية بطعمه الشهي وأنه لا توجد من يمكنها أن تتفوق علي في الطبخ فترمقه خالتي بنظرة ضيق مصطنعة تجعله يعدها إستثناءا ليتحاشى غضبها فينفجر الجميع ضحكا وبالأخص سمير الصغير إذ كان ينتظر هذا اليوم من كل أسبوع بفارغ الصبر.

كانت تلك أجمل أيام عشناها في سنين زواجنا الأولى وكانت أيام خير أشكر الله أن جمع لنا فيها كل أسباب السعادة، لكن ذلك الحال لم يستمر، فبعد عدة شهور من دخول سمير للمدرسة إنهارت صحتي وبعد إجراء العديد من الفحوصات وتكرارها أكثر من مرة تأكدت إصابتي بالسرطان.

عرفت حينها أن أيامي باتت معدودة لكن ما كان يزعجني معرفتي بأن من أحبهم سيؤلمهم موتي أكثر مما سيؤلمني، فإجتهدت كثيرا لأجهزهم لذلك اليوم

الذي سأصبح فيه جثة هامدة لا روح فيها. فكنت أخبرهم كثيرا بأني عشت كما كنت أتمنى وأني لم يمر علي يوم لم يغدق علي فيه بالحب من زوجي العزيز وأسرتي وعائلتي وأني لست نادمة على أي شيء فعلته فقد عشت سعيدة وسأغادر هذه الدنيا وأنا أسعد إنسانة وسآتي ربي بقلب سليم أحمد الله عليه.

كانت ندى أول من تجاوب معي ووعدتني بأنها ستبذل ما في وسعها ليحظى سمير بحنان الأم ولتغطي غيابي بقدر المستطاع وأضافت ممازحة لي أنها تحتاج مني أن أعلمها وصفة حساء الفجل لتستمر في إعداده بعد رحيلي، فكانت كلماتها كالنسيم البارد الذي يبعث الطمأنينة في الصدر وهكذا كانت هي دائما، ملاكنا الحارس."

****

" بعد خمس عقود يصعد وسيم ذو الست سنوات إلى العلية، يجتره الفضول ليفتح ذلك الصندوق القديم الذي تراكم فوقه الغبار ليجد الكثير من الرسومات لنفس الوجه بعضها متقن جدا وبعضها يبدو كأنما رسمته يد مرتعشة فكانت خطوطه متعرجة لكنها تجتمع لتشهد على براعة من رسمها، كانت إحدى اللوحات غير مكتملة وبدت مشوهة وذات خطوط شديدة التعرج ويبدو أن من رسمها لم يكملها رغما عنه، ووجد في قاع الصندوق رسالة مكتوبة بخط فائق الجمال وكانت خالية من أي طوابع أو عنوان، فتحها ووجد هذا النص مكتوبا:

(عزيزتي ليان

إحتجت لكثير من الوقت لأستوعب سبب غيابك الطويل ووقت أكثر لأتقبله، لكني لازلت أجد العبرة تخنقني كلما تذكرت إبتسامتك الجميلة أو كلما أعدت اختي حساء الفجل المفضل لديك، لا تقلقي فقد توقفت عن إعداده بعد إنفجاري باكيا عدة مرات على مائدة الطعام.

لا يزال إبننا سمير يطعم الحمام في المنتزه القريب من منزلنا كما كان يفعل معك ويخبره بأنه سيستمر بإطعامه حتى عودتك، إبننا الذي يملك نفس تلك العينان اللتان رأيت فيهن حاضري ومستقبلي ورأيت فيهن ما أنساني ماضي، ذلك الماضي الذي لم أكن فيه سوى "وسيم الشاب المتوحد ."

سأظل أدعو الله أن نلتقي في الجنة لأرى إبتسامتك مجددا وننعم بالخلود والسعادة الأبدية.

لكم إشتقت لضحكتك الخجولة ولتلك الإبتسامة التي تزيد وجهك الملائكي جمالا، ذلك الوجه الذي لن أتوقف عن رسمه حتى آخر يوم لي في هذا العالم المظلم بدونك.

زوجك المحب

وسيم)

"

إنتهى

ما تعارف منها إئتلف

رواية

نحن لا نسيطر على حياتنا من بدايتها حتى نهايتها

فلا يوجد منا من أختار متى وكيف سيولد

أو متى وكيف سيموت

لكننا نختار كيف ومع من نريد أن نقضيها

وهذا يكفي لننعم بالسعادة والرضى

ولأن نجعل منها قصة تستحق أن تروى